تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن الكفار من مشركي العرب من قريش ومن ما لأهم على نصرتهم على رسول ا صلى ا عليه وسلّم { هم الذين كفروا } أي هم الكفار دون غيرهم { وصدوكم عن المسجد الحرام } أي أنتم أحق به وأنتم أهله في نفس الأمر { والهدي معكوفا أن يبلغ محله } أي صدوا الهدي أن يصل وهذا من بغيهم وعنادهم وكان الهدي سبعين بدنة كما سيأتي إن شاء ا تعالى وقوله D : { ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات } أي بين أظهرهم ممن يكتم إيمانه ويخفيه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم لكنا سلطناكم عليهم فقتلتموهم وأبدتم خضراءهم ولكن بين أفنائهم من المؤمنين والمؤمنات أقوام لا تعرفونهم حالة القتل ولهذا قال تعالى : { لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة } أي إثم وغرامة { بغير علم ليدخل ا في رحمته من يشاء } أي يؤخر عقوبتهم ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين وليرجع كثير منهم إلى الإسلام ثم قال تبارك وتعالى : { لو تزيلوا } أي لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم { لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما } أي لسلطناكم عليهم فلقتلتموهم قتلا ذريعا .

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج حدثنا عبد الرحمن بن أبي عباد المكي حدثنا عبد الرحمن بن عبد ا بن سعد مولى بني هاشم حدثنا حجر بن خلف قال : سمعت عبد ا بن عوف يقول : سمعت جنيد بن سبع يقول : قاتلت رسول ا صلى ا عليه وسلّم أول النهار كافرا وقاتلت معه آخر النهار مسلما وفينا نزلت { ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات } قال : كنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتين ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن عباد المكي به وقال فيه عن أبي جمعة جنيد بن سبع فذكره والصواب أبو جعفر حبيب بن سباع ورواه ابن أبي حاتم من حديث حجر بن خلف به : قال : كنا ثلاثة رجال وتسع نسوة وفينا نزلت { ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات } وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري حدثنا عبد ا بن عثمان بن جبلة عن أبي حمزة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس Bهما في قوله تعالى : { لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما } يقول لو تزيل الكفار من المؤمنين لعذبهم ا عذابا أليما بقتلهم إياهم .

وقوله D : { إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية } وذلك حين أبوا أن يكتبوا بسم ا الرحمن الرحيم وأبوا أن يكتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول ا { فأنزل ا سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى } وهي قول [لا إله إلا ا] كما قال ابن جرير وعبد ا بن الإمام أحمد حدثنا الحسن بن قزعة أبو علي البصري حدثنا سفيان

بن حبيب حدثنا شعبة عن ثور عن أبيه عن الطفيل يعني ابن أبي بن كعب عن أبيه Bه أنه سمع رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : [وألزمهم كلمة التقوى] قال [لا إله إلا ا] وكذا رواه الترمذي عن الحسن بن قزعة وقال غريب لا نعرفه إلا من حديثه وسألت أبا زرعة عنه فلم يعرفه إلا من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد ا بن صالح حدثني الليث حدثني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة Bه أخبره أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : [أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا ا فمن قال لا إله إلا ا فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على ا D] وأنزل ا في كتابه وذكر قوما فقال : { إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا ا يستكبرون } وقال ا جل ثناؤه : { وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها } وهي لا إله إلا ا محمد رسول ا فاستكبروا عنها واستكبر عنها المشركون يوم الحديبية فكاتبهم رسول ا صلى ا عليه وسلّم على قضية المدة وكذا رواه بهذه الزيادات ابن جرير من حديث الزهري والظاهر أنها مدرجة من كلام الزهري وا أعلم .

وقال مجاهد : كلمة التقوى الإخلاص وقال عطاء بن أبي رباح هي [لا إله إلا ا وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير] وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن الزهري عن عروة عن المسور { وألزمهم كلمة التقوى } قال [لا إله إلا ا وحده لا شريك له] وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن عباية بن ربعي عن علي Bه { وألزمهم كلمة التقوى } قال : [لا إله إلا ا وا أكبر] وكذا قال ابن عمر Bهما وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كل رأس وهي ا إلا إله لا أن شهادة يقول قال { التقوى كلمة وألزمهم } تعالى قوله هما Bتقوى وقال سعيد بن جبير { وألزمهم كلمة التقوى } قال [لا إله إلا ا والجهاد في سبيله] وقال عطاء الخراساني هي لا إله إلا ا محمد رسول ا وقال عبد ا بن المبارك عن معمر عن الزهري { وألزمهم كلمة التقوى } قال [بسم ا الرحمن الرحيم] وقال قتادة { وألزمهم كلمة التقوى } قال [لا إله إلا ا] { وكانوا أحق بها وأهلها } كان المسلمون أحق بها وكانوا أهلها { وكان ا بكل شيء عليما } أي هو عليم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر وقد قال النسائي : حدثنا إبراهيم بن سعيد حدثنا شبابة بن سوار عن أبي رزين عن عبد ا بن العلاء بن نوير عن بشر بن عبد ا عن أبي إدريس عن أبي بن كعب Bه أنه كان يقرأ { إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية } ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام فبلغ ذلك عمر Bه فأغلظ له فقال إنك لتعلم أني كنت أدخل على رسول ا صلى ا عليه وسلّم فيعلمني مما علمه ا تعالى فقال عمر Bه : بل أنت رجل عندك علم وقرآن فاقرأ وعلم مما علمك ا تعالى ورسوله .

وهذا ذكر الأحاديث الواردة في قصة الحديبية وقصة الصلح .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن إسحاق بن يسار عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم Bهما قالا : خرج رسول ا صلى ا عليه وسلّم عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدي سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة وخرج رسول ا صلى ا عليه وسلّم حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال : يا رسول ا هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوذ المطافيل قد لبست جلود النمور يعاهدون ا تعالى أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدا وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموه إلى كراع الغميم فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [يا ويح قريش ! قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس ؟ فإن أصابوني كان الذي أرادوا وإن أظهرني ا تعالى دخلوا في الإسلام وهم وافرون وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فماذا تظن قريش فوا لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني ا تعالى به حتى يظهرني ا D أو تنفرد هذه السالفة] ثم أمر الناس فسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض على طريق تخرجه على ثنية المرار والحديبية من أسفل مكة قال فسلك بالجيش تلك الطريق فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش فخرج رسول ا صلى ا عليه وسلّم حتى إذا سلك ثنية المرار بركت ناقته فقال الناس خلأت فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ما خلأت وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة وا لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها] .

ثم قال صلى ا عليه وسلّم للناس : [انزلوا] قالوا : يا رسول ا ما بالوادي من ماء ينزل عليه الناس فأخرج رسول ا صلى ا عليه وسلّم سهما من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل في قليب من تلك القلب فغرزه فيه فجاش بالماء حتى ضرب الناس عنه بعطن فلما اطمأن رسول ا صلى ا عليه وسلّم إذا بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فقال لهم كقوله لبشر بن سفيان فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد A إن محمدا لم يأت لقتال إنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحقه فاتهموهم قال محمد بن إسحاق : قال الزهري وكانت خزاعة في عيبة رسول ا صلى ا تعالى عليه وعلى آله وسلم مشركها ومسلمها لا يخفون على رسول ا صلى ا تعالى عليه وعلى آله وسلم شيئا كان بمكة فقالوا : وإن كان إنما جاء لذلك فوا لا يدخلها أبدا علينا عنوة ولا يتحدث بذلك العرب ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص أحد بني عامر بن لؤي فلما رآه رسول ا A قال : [هذا رجل غادر] فلما انتهى إلى رسول ا صلى ا تعالى عليه وعلى آله وسلم كلمه رسول ا صلى ا تعالى عليه وعلى آله وسلم بنحو مما تكلم مع أصحابه ثم رجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول ا A فبعثوا إليه الحليس بن علقمة الكناني وهو يومئذ سيد الأحابيش فلما رآه رسول ا A قال : [هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي] فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل

أوباره من طول الحبس عن محله رجع ولم يصل إلى رسول ا A إعظاما لما رأى فقال : يا معشر قريش لقد رأيت ما لا يحل صد الهدي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس على محله قالوا : اجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك .

فبعثوا إليه عروة بن مسعود الثقفي فقال : يا معشر قريش إني قد رأيت ما يلقى منكم من تبعثون إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم أنكم والد وأنا ولد وقد سمعت بالذي نابكم فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئت حتى آسيتكم بنفسي قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم فخرج حتى أتى رسول ا A فجلس بين يديه فقال : يا محمد جمعت أوباش الناس ثم جئت بهم لبيضتك لنقضها إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور يعاهدون ا تعالى أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدا وايم ا لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا قال وأبو بكر Bه قاعد خلف رسول ا A فقال : امصص بظر اللات أنحن ننكشف عنه ؟ قال من هذا يا محمد ؟ قال A : [هذا ابن أبي قحافة] قال : أما وا لو لا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ولكن هذه بها ثم تناول لحية رسول ا A والمغيرة بن شعبة Bه واقف على رأس رسول ا A بالحديد قال : فقرع يده ثم قال أمسك يدك عن لحية رسول ا A قبل وا أن لا تصل إليك قال ويحك ما أفظك وأغلظك ! فتبسم رسول ا قال : من هذا يا محمد ؟ قال A : [هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة] قال : أغدر وهل غسلت سوأتك إلا بالأمس ؟ قال : فكلمه رسول ا A بمثل ما كلم به أصحابه وأخبره بأنه لم يأت يريد حربا قال فقام من عند رسول ا A وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ وضوءا إلا ابتدروه ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه وجئت قيصر والنجاشي في ملكهما وا ما رأيت ملكا قط مثل محمد A في أصحابه ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا فروا رأيكم .

قال : وقد كان رسول ا A قبل ذلك بعث خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة وحمله على جمل له يقال له الثعلب فلما دخل مكة عقرت به قريش وأرادوا قتل خراش فمنعتهم الأحابيش حتى أتى رسول ا A فدعا عمر Bه ليبعثه إلى مكة فقال : يا رسول ا إني أخاف قريشا على نفسي وليس بها من بني عدي أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز مني بها عثمان بن عفان Bه قال : فدعاه رسول ا A فبعثه يخبرهم أنه لم يأت لحرب أحد وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان Bه حتى أتى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص فنزل عن دابته وحمله بين يديه أردفه خلفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول ا A فانطلق عثمان Bه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول ا A ما أرسله به فقالوا لعثمان Bه : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول ا A قال : واحتبسته قريش عندها قال : وبلغ رسول ا A أن عثمان Bه قد قتل .

قال محمد : فحدثني الزهري أن قريشا بعثوا سهيل بن عمرو وقالوا : ائت محمدا فصالحه ولا تلن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا فوا لا تحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبدا فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول ا A قال : [قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل] فلما انتهى إلى رسول ا A تكلما وأطالا الكلام وتراجعا حتى جرى بينهما الصلح فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب Bه فأتى أبا بكر Bه فقال : يا أبا بكر أوليس برسول ا ؟ أولسنا بالمسلمين ؟ أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال أبو بكر Bه : يا عمر الزم غرزه حيث كان فإني أشهد أنه رسول ا فقال عمر Bه : وأنا أشهد ثم أتى رسول ا A فقال : يا رسول ا أولسنا بالمسلمين ؟ أوليسوا بالمشركين ؟ قال A [بلى] قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال A : [أنا عبد ا ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني] ثم قال عمر Bه : ما زلت أصوم وأصلي وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيرا .

قال : ثم دعا رسول ا A علي بن أبي طالب Bه فقال : اكتب [بسم ا الرحمن الرحيم] فقال سهيل : لا أعرف هذا ولكن اكتب : باسمك اللهم فقال رسول ا A : [اكتب باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد رسول ا] فقال له سهيل بن عمرو لو شهدت أنك رسول ا لم أقاتلك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد ا وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى رسول ا A من أصحابه بغير إذن وليه رده عليه ومن أتى قريشا ممن مع رسول ا A لم يردوه عليه وأن بيننا عيبة مكفوفة وأنه لا أسلال ولا أغلال وكان في شرطهم حين كتبوا الكتاب أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد A وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد رسول ا A وعهده وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم وأنك ترجع عنا عامنا هذا فلا تدخل علينا مكة وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فتدخلها بأصحابك وأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير السيوف في القرب .

فبينا رسول ا A يكتب الكتاب إذ جاءه أبو جندل بن سهيل بن عمرو في الحديد قد انفلت إلى رسول ا A قال وقد كان أصحاب رسول ا A خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول ا A فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل رسول ا A على نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه قال يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا قال [صدقت] فقام إليه فأخذ بتلابيبه قال وصرخ أبو جندل بأعلى صوته يا معشر المسلمين أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنوني في ديني قال فزاد الناس شرا إلى ما بهم فقال رسول ا A [يا أبا جندل اصبر

واحتسب فإن ا تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا فأعطيناهم على ذلك وأعطونا عليه عهدا وإنا لن نغدر بهم] قال فوثب إليه عمر بن الخطاب Bه فجعل يمشي مع أبي جندل ويقول اصبر أبا جندل فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب قال ويدني قائم السيف منه قال يقول رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه قال فضن الرجل بأبيه قال ونفذت القضية فلما فرغا من الكتاب وكان رسول ا A يصلي في الحرم وهو مضطرب في الحل قال فقام رسول ا A فقال [يا أيها الناس انحروا واحلقوا] قال : فما قام أحد قال ثم عاد A بمثلها فما قام رجل ثم عاد A بمثلها فما قام رجل فرجع رسول ا A فدخل على أم سلمة Bها فقال [يا أم سلمة ما شأن الناس ؟] قالت : يا رسول ا قد دخلهم ما رأيت فلا تكلمن منهم إنسانا واعمد إلى هديك حيث كان فانحره واحلق فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك فخرج رسول ا A لا يكلم أحدا حتى إذا أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق قال : فقام الناس ينحرون ويحلقون حتى إذا كان بين مكة والمدينة في وسط الطريق نزلت سورة الفتح هكذا ساقه أحمد من هذا الوجه وهكذا رواه يونس بن بكير وزياد البكائي عن أبي إسحاق بنحوه وفيه إغراب .

وقد رواه أيضا عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري به نحوه وخالفه في أشياء وقد رواه البخاري C في صحيحه فساقه سياقة حسنة مطولة بزيادات جيدة فقال في كتاب الشروط من صحيحه : حدثنا عبد ا بن محمد حدثنا عبد الرزاق عن معمر أخبرني الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهم حديث صاحبه قالا : خرج رسول ا A زمن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة وسار حتى إذا كان بغدير الأشطاط أتاه عينه فقال : إن قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك ومانعوك فقال A : [أشيروا أيها الناس علي أترون أن نميل على عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ؟] وفي لفظ : [أترون أن نميل على ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فإن يأتونا كان ا قد قطع عنقا من المشركين وإلا تركناهم محزونين] وفي لفظ [فإن قعدوا قعدوا موتورين مجهودين محرونين وإن نجوا يكن عنقا قطعها ا D أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه] .

فقال أبو بكر Bه : يا رسول ا خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه وفي لفظ : فقال أبو بكر Bه : ا ورسوله علم إنما جئنا معتمرين ولم نجىء لقتال أحد ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه فقال النبي A : [فروحوا إذن] وفي لفظ [فامضوا على اسم ا تعالى] حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي A : [إن خالد بن الوليد في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوا ما شعر بهم خالد حتى إذا هم

بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي A حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس : جل حل فألحت فقالوا : خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبي A : ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال A : والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات ا تعالى إلا أعطيتهم إياها] ثم زجرها فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس حتى نزحوه وشكي إلى رسول ا العطش فانتزع A من كنانته سهما ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوا ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه .

فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول ا A من أهل تهامة فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي A : [إنا لم نجىء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب فأضرت بهم فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جمه وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن ا أمره] قال بديل : سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال : إنا قد جئنا من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الرأي منهم : هات ما سمعته يقول قال : سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قاله رسول ا A فقام عروة بن مسعود فقال : أي قوم ألستم بالوالد ؟ قالوا : بلى قال : أولست بالولد ؟ قالوا : بلى قال : فهل تتهمونني ؟ قالوا : لا قال : ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا : بلى قال : فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آته قالوا : ائته فأتاه فجعل يكلم النبي A فقال النبي A له نحوا من قوله لبديل بن ورقاء فقال عروة عند ذلك : أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك ؟ وإن تك الأخرى فإني وا لأرى وجوها وإني لأرى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر Bه : امصص بظر اللات أنحن نفر وندعه ؟ قال : من ذا ؟ قالوا أبو بكر قال : أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك قال : وجعل يكلم النبي A فكلما كلمه أخذ بلحيته A والمغيرة بن شعبة Bه قائم على رأس النبي A ومعه السيف وعليه المغفر وكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي A ضرب يده بنعل السيف وقال : أخر يدك عن لحية رسول ا A فرفع عروة رأسه وقال : من هذا ؟ قال : المغيرة بن شعبة قال : أي غدر ألست أسعى في غدرتك ؟ وكان المغيرة بن شعبة Bه صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي A : [أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء]

.

ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي A بعينيه قال : فوا ما تنخم رسول ا A نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيما له A فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم ! وا لقد وفدت على الملوك ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشي وا إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا وا إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيما له وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها .

فقال رجل منهم من بني كنانة : دعوني آته فقالوا : ائته فلما أشرف على النبي A وأصحابه واستقبله فبعثت [له فابعثوها البدن يعظمون قوم من وهو فلان هذا] : A النبي قال همB الناس يلبون فلما رأى ذلك قال : سبحان ا ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال : دعوني آته فقالوا : ائته فلما أشرف عليهم قال النبي A : [هذا مكرز وهو رجل فاجر] فجعل يكلم النبي A فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو وقال معمر : أخبرني أيوب عن عكرمة أنه قال : لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي A : [قد سهل لكم من أمركم] قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال : هات اكتب بيننا وبينك كتابا فدعا النبي A بعلي Bه وقال : [اكتب بسم ا الرحمن الرحيم] فقال سهيل بن عمرو : أما الرحمن فوا ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون : وا لا نكتبها إلا باسم ا الرحمن الرحيم فقال النبي A [اكتب باسمك اللهم ـ ثم قال ـ هذا ما قاضى عليه محمد رسول ا] فقال سهيل : وا لو كنا نعلم أنك رسول ا ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد ا فقال له النبي A : [وا إني لرسول ا وإن كذبتموني اكتب محمد بن عبد ا] قال الزهري : وذلك لقوله : [وا لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات ا تعالى إلا أعطيتهم إياها] فقال له النبي A : على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل : وا لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل : وعلى أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا فقال المسلمون : سبحان ا كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما ؟ .

فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل : هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلي فقال A : [إنا لم نقض الكتاب بعد] قال : فوا إذا لا أصالحك على شيء أبدا فقال

النبي A : [فأجزه لي] قال : ما أنا بمجيز ذلك لك قال [بلى فافعل] قال : ما أنا بفاعل قال مكرز : بلى قد أجزناه لك قال أبو جندل : أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عذب عذابا شديدا في ا D قال عمر Bه : فأتيت نبي ا A فقلت ألست نبي ا حقا ؟ قال A : [بلى] قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال A [بلى] قلت فلم نعطي الدنية في ديننا إذا ؟ قال A : [إني رسول ا ولست أعصيه وهو ناصري] قلت : أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال A : [بلى أفأخبرتك أنا نأتيه العام ؟] قلت : لا قال A : فإنك آتيه ومطوف به قال : فأتيت أبا بكر فقلت أبا بكر أليس هذا نبي ا حقا ؟ قال : بلى قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذا ؟ قال : أيها الرجل إنه رسول ا وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوا إنه على الحق قلت : أوليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا قال : فإنك تأتيه وتطوف به .

قال الزهري قال عمر Bه : فعملت لذلك أعمالا قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول ا A لأصحابه : [قوموا فانحروا ثم احلقوا] قال : فوا ما قام منهم رجل حتى قال A ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد دخل A على أم سلمة Bها فذكر لها ما لقي من الناس قالت له أم سلمة Bها : يا نبي ا أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج رسول ا A فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل ا D : { يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات } حتى بلغ { بعصم الكوافر } فطلق عمر Bه يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية .

ثم رجع النبي A إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا : العهد الذي جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين : وا إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الاخر فقال : أجل وا إنه لجيد لقد جربت منه ثم جربت فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه فأمكنه منه فضربه حتى برد وفر الاخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول ا A حين رآه [لقد رأى هذا ذعرا] فلما انتهى إلى النبي A قال : قتل وا صاحبي وإني لمقتول فجاء أبو بصير فقال : يا رسول ا قد وا أوفى ا ذمتك قد رددتني إليهم ثم نجاني ا تعالى منهم فقال النبي A : [ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد] .

فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر قال وتفلت منهم أبو جندل بن

سهيل فلحق بأبي بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوا ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي A تناشده ا والرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه منهم فهو آمن فأرسل النبي A إليهم وأنزل ا D : { وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة } ـ حتى بلغ ـ { حمية الجاهلية } وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه رسول ا ولم يقروا ببسم ا الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت هكذا ساقه البخاري ههنا وقد أخرجه في التفسير وفي عمرة الحديبية وفي الحج وغير ذلك من حديث معمر وسفيان بن عيينة كلاهما عن الزهري به ووقع في بعض الأماكن عن الزهري عن عروة عن مروان والمسور عن رجال من أصحاب النبي A بذلك وهذا أشبه وا أعلم ولم يسقه أبسط من ههنا وبينه وبين سياق ابن إسحاق تباين في مواضع وهناك فوائد ينبغي إضافتها إلى ما هنا ولذلك سقنا تلك الرواية وهذه وا المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا با العزيز الحكيم .

وقال البخاري في التفسير : حدثنا أحمد بن إسحاق السلمي حدثنا يعلى حدثنا عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال : أتيت أبا وائل أسأله فقال كنا بصفين فقال رجل : ألم تر إلى الذين يدعون إلى كتاب ا فقال علي بن أبي طالب Bه : نعم فقال سهل بن حنيف : اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية يعني الصلح الذي كان بين النبي A والمشركين ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر Bه فقال : ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ فقال : بلى قال : ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم ا بيننا ؟ فقال A : [يا ابن الخطاب إني رسول ا ولن يضيعني ا أبدا] فرجع متغيظا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر Bه فقال : يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ فقال : يا ابن الخطاب إنه رسول ا ولن يضيعه ا أبدا فنزلت سورة الفتح وقد رواه البخاري أيضا في مواضع أخر ومسلم والنسائي من طرق أخر عن أبي وائل سفيان بن سلمة عن سهل بن حنيف به وفي بعض ألفاظه : يا أيها الناس اتهموا الرأي فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أقدر على أن أرد على رسول ا A أمره لرددته وفي رواية : فنزلت سورة الفتح فدعا رسول ا A عمر بن الخطاب Bه فقرأها عليه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس Bه قال : إن قريشا صالحوا النبي A وفيهم سهيل بن عمرو فقال النبي A لعلي Bه : [اكتب بسم ا الرحمن الرحيم] فقال سهيل : لا ندري ما بسم ا الرحمن الرحيم ولكن اكتب ما نعرف باسمك اللهم فقال A : [اكتب من محمد رسول ا] قال : لو نعلم أنك رسول ا لاتبعناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال النبي A : [اكتب من محمد بن عبد ا] واشترطوا على النبي A أن من جاء منكم لا نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقال : يا رسول ا أنكتب هذا ؟ قال A : [نعم

إنه من ذهب منا إليهم فأبعده ا [رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به .

وقال أحمد أيضا حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عكرمة بن عمار قال حدثني سماك عن عبد ا بن عباس Bهما قال : لما خرجت الحرورية اعتزلوا فقلت لهم إن رسول ا A يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي Bه : [اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول ا] قالوا لو نعلم أنك رسول ا ما قاتلناك فقال رسول ا A : [امح يا علي اللهم إنك تعلم أني رسولك امح يا علي واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد ا] وا لرسول ا خير من علي وقد محا نفسه ولم يكن محوه ذلك يمحوه من النبوة أخرجت من هذه ؟ قالوا نعم ورواه أبو داود من حديث عكرمة بن عمار اليمامي بنحوه وروى الإمام أحمد عن يحيى بن آدم عن زهير بن حرب عن محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس Bهما قال : نحر رسول ا A يوم الحديبية سبعين بدنة فيها جمل لأبي جهل فلما صدت عن البيت حنت كما تحن إلى أولادها